

الإيدز

حقائق وأرقام

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٥/٤/٣٩٧)

رقم التصنيف: ٦١٦.٩٧٤٢

المؤلف ومن هو في حكمه: عبد الحميد
القضاة

عنوان المصنف: الإيدز ... حقائق وأرقام

رؤوس الموضوعات: ١ - أمراض الحساسية

٢ - الإيدز

الإيدز

حقائق وأرقام

الدكتور

عبد الحميد القضاة

B.Sc., M.Sc., M.Phil., Dp.Bact., Ph.D. (U.K)
اختصاصي تشخيص الأمراض الجرثومية والأمصال (بريطانيا)
مدير المختبرات التخصصية – أربد

الطبعة الثانية
منقحة ومزودة
٢٠٠٠م / ١٤٢٠هـ

مقدمة الطبعة الثانية

عند البدايات الأولى لظهور مرض الإيدز، كنا نظن أننا لن نلج عتبة القرن الجديد قبل أن نكتشف علاجاً أو طعاماً واقياً من هذا المرض. ورغم المليارات التي صرفت على الأبحاث الخاصة به، والسنين المتعاقبة على مدى عقدين من الزمن، إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث، فلا زال الإنسان يراوح مكانه، فلا علاج يساعد على الشفاء، ولا طعام يساعد على التحصين.

وقد استقرت مع مرور السنين حقائق، منها أن هذا المرض هو من الأمراض الجنسية الناتجة عن الوقوع بما حرم الله، من زنا وشذوذ ومخدرات، وأن العلم قد تقدم تقدماً عظيماً، خاصة في أمور التشخيص والكشف عن الفيروس، وبالتالي إمكانية الوقاية من الإصابة به عن طريق الدم ومشتقاته وما شابه ذلك... والأصل أن يؤدي ذلك إلى انخفاض في عدد الإصابات على مستوى العالم... ولكن هذا نظرياً، إذ يشهد الواقع بغير ذلك، فالإصابات به تزداد يوماً بعد يوم.

وقد أصيب المشاركون بالمؤتمر الدولي التاسع للإيدز، الذي عقد في وارسو في آب ١٩٩٩م برعاية الأمم المتحدة، بالذهول من عدد الإصابات المتزايد في العالم، خاصة في أوروبا

الوسطى والشرقية وجنوب شرق آسيا وروسيا، ناهيك عن القارة
السوداء وما تشهده من أهوال.

هذا يعني بالتأكيد أن التقدم التكنولوجي، ورغم النقلة
الهائلة التي وصلها، لم ولن يحل المشكلة، طالما لم يتغير سلوك
الشباب، وسوف لن يتغير سلوكه طالما هيجت وسائل الإعلام
غرائزهم، وسهلت لهم الوصول إلى المتعة الحرام بكل أشكالها،
تحت مظلة الحرية الشخصية المحمية بقوة القانون، كما هو الحال
في كثير من دول الغرب.

والنتيجة...؟؟ مرض جنسي، بل أمراض تترى. فهذا الإيدز
الذي لم يتجاوز عمره المعروف العشرين خريفاً، يفتك بجسم
المصاب شيئاً فشيئاً حتى تضيق عليه الدنيا بما رحبت، بل تضيق
عليه نفسه التي بين جنبيه، ويتمنى الموت فراراً مما هو فيه.

والإيدز هذا ... يتلف جهاز المناعة، فيصبح جسم المريض
مستباحاً للجراثيم الانتهازية، تنهشه من كل جانب، فلا يعرف من
أين يشكو ولا مما يشكو... ويأتيه الموت من كل مكان... والنتيجة
تلف في كل جهاز، وهزال رهيب، وجسم متهتك، ونفسية منهارة،
وجراثيم بالمليارات تسرح وتمرح وتعيثُ فساداً وهدماً في جسم
المريض، وبالتالي هلاك محقق.

هذه هي النهاية الحتمية لكل من يتجاوز حدود الفطرة البشرية في تصريف الشهوة الجنسية إلى الشذوذ والزنا. وهذه نهاية طبيعية لمن يستعجل الأمر قبل أوانه وفي غير مكانه. نهاية خاسرة، فلا سعادة في الدنيا ولا جنة في الآخرة.

هذا الكتيب، كانت جامعة الزرقاء الأهلية مشكورة قد طبعته ووزعته مجاناً، خدمة منها للمجتمع ومساهمة في نشر الوعي الذي يساعد الشباب على تجنب مزالق الرذيلة. ونحن في المختبرات التخصصية في إربد نعيد طباعته وتوزيعه مع بعض التعديلات والإضافات، خدمة لمجتمعنا وتثقيفاً لشبابنا. علّهم يستفيدوا مما فيه.

والحمد لله رب العالمين.

تقديم

بقلم

معالي الأستاذ الدكتور إسحاق الفرحان

الحمد لله، رب الناس، إله الناس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، المرسل رحمة للعالمين.

أما بعد:

فهذه الرسالة قيمة في هدفها ومضمونها عن مرض الإيدز، طاعون القرن، من إعداد أئينا العالم الدكتور عبد الحميد القضاة، اختصاصي الأمراض الجرثومية والأمصال، أقدمها لأبنائنا الشباب، ليعوا ما فيها من علم وتوجيه، عسى أن يدفع الله عن أمتنا شر هذا الوباء، الذي يهدد بانتشاره السريع، البشرية في شتى أقطار الكرة الأرضية التي أصبحت بفعالية الاتصالات الحديثة، بمثابة قرية صغيرة.

وقد بذلك فيها الدكتور القضاة جهداً طيباً، مزج فيه العلم بالإيمان، والخبرة العلمية بالنصيحة الخالصة، والعقل بالعاطفة، فجاءت عباراتها العلمية دقيقة، ولغتها مباشرة، خلت من التكلف والتعقيد، مما يجعل الفائدة المأمولة منها ميسرة، ومقتعة ومفيدة، إن شاء الله تعالى.

وقد أكد المؤلف، على أهمية الثقافة الصحية في هذا المجال، وكذلك أهمية الوقاية، حيث أن العلاج من هذا الوباء، ما زال في مراحله الأولية، التي تحتاج إلى جهود مضنية من العلماء والباحثين، كما أكد في أواخر البحث على دور الإسلام الحاسم في تعزيز الإيمان والخلق والسلوك القويم بين الشباب، مما له أكبر الأثر في مواجهة هذا الوباء المخيف، وعلى الرغم من إيجابيات الحضارة الغربية المعاصرة، في مجال التقدم المادي والتكنولوجي للبشرية، إلا أنها أثبتت لكل فاحص مدقق، أنها حضارة مدراء، تنظر بعين واحدة، وعرجاء تمشي برجل واحدة، وتؤكد على المادة والجسم، وتهمل القيم الأخلاقية والروحية، وفي هذا دمار للبشرية، فما أحوج العالم اليوم إلى قيم الإسلام وروحانيته لتعيد للحضارة المعاصرة ما افتقدته من توازن بين المادة والقيم الروحية والأخلاقية، وتوازن بين تلبية متطلبات الجسم ومتطلبات الروح والنفس الزكية. وعندما يعود للحضارة العالمية توازنها، ويكون للإسلام دوره المأمول في قيادة البشرية، سنرى كيف تحول الرقابة الفعالة من الوقوع في المصائب والكوارث، والأمراض الوبائية التي تهدد البشرية بالفناء، وحضارة الإنسان التي بناها عبر العصور بالانهيار.

بقيت كلمة أخيرة، أقولها، إن هذه الجامعة، جامعة الزرقاء الأهلية، لها فلسفتها وأهدافها المميزة التي تنبثق عن عقيدة الأمة وتراثها الماجد، وتعكس حضارة الإنسان المعاصر، وضرورة استفادته من معطيات العصر المتشعبة، ومن تقدمه المادي والتكنولوجي في آن واحد، وللجامعة جناحان تحلق بهما في أجواء المجتمع، هما العلم والإيمان، ومن هنا فإن هذه الرسالة تأتي لبنة صالحة في بناء الجيل الذي تحرص الجامعة على إعداده، في مسيرتها الخيرة، في خدمة أجيال الأمة، والله سبحانه ولي التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لمحة تاريخية

في بداية العقد الماضي، كان الاعتقاد السائد، أن الأمراض المعدية لم تعد تشكل تهديداً صحياً للغرب، نظراً لما يُطبق من قواعد صحية عامة تحاصر انتشار جراثيم الأمراض، وتقضي عليها. لذا، كان الاهتمام منصباً على أمراض القلب والسرطان، حتى ظهر مرض الإيدز الذي قلب الموازين، وجعل القوم في حيرة من أمرهم، حيث وجدوا أنفسهم أمام مرض معد ينتشر بين الشباب بسرعة كبيرة. لا يعرف حدوداً ولا جنساً ولا لوناً ... إذا أصاب قتل ... فأحدث رعباً زاد من حدته ما كان يلف هذا المرض من غموض وقلة في المعلومات.

ومع دخول العقد الثاني من المعركة مع وباء الإيدز، ما زالت التقارير الواردة من الجبهة الأمامية قاتمة وكئيبة، ففي عدد من الدول الأفريقية، طغى مرض الإيدز على مرضي الحصبة والملاريا، وأصبح القاتل الأول للأطفال، مقوّضاً بذلك المكاسب التي تحققت بصعوبة في مجال تخفيض معدل الوفيات بين الرضع. وتقدر منظمة الصحة العالمية، أن سبعة عشر مليون نسمة من بينهم على الأقل مليون طفل، مصابون بفيروس الإيدز، وأن مليونين قد توفوا بهذا المرض.

وكما يذكر الدكتور (جيمس قرانت) مدير عام (اليونيسيف)، فإنه يصاب في اليوم الواحد خمسة آلاف شخص بفيروس الإيدز. قرابة ٧٠% من هؤلاء دون سن الخامسة والعشرين. وفي مناطق الصحراء الإفريقية يُعتقد أن واحداً من بين كل (٤٠) شخص بالغ، مصاب بفيروس الإيدز، وفي بعض الدول يرتفع المعدل إلى واحد من بين كل ثلاثة أشخاص. وفي تايلاند يصل المعدل إلى واحد من كل (٥٠) شخصاً. فإذا ما استمر الوضع على حالته حتى نهاية العقد الحالي، فسيكون عدد الآسيويين الذين يصابون بالإيدز سنوياً أكثر من عدد الأفارقة، وحينها سيكون (٤٠) مليون إنسان على الأقل قد أصيبوا بفيروس الإيدز، وسيكون عدد الوفيات من هذا المرض حوالي (٢ مليون) سنوياً.

وتقدر منظمة الصحة العالمية، أن عدد حالات الإصابة بالإيدز في بداية التسعينات، هو عشرة أضعاف الإصابات المشخصة في الثمانينات، كما تعتقد بأن ما سيظهر من إصابات مع نهاية هذا القرن، سيفوق مجموع الحالات التي سجلت منذ بداية ظهور هذا المرض، وسيفقد على الأقل عشرة (ملايين) طفل والديهم. وستحدث معظم هذه الوفيات في العالم النامي، وستكون معظمها بين النساء والأطفال، حيث أن معدل الإصابات بالإيدز بين النساء آخذ بالارتفاع بشكل حاد، فالطفل المولود لأم مصابة بفيروس الإيدز، يواجه

احتمال الإصابة به بنسبة واحد إلى ثلاثة، وهؤلاء الأطفال المصابون يواجهون خطر الموت بنسبة (٨٠%) قبل بلوغ سن الخامسة، كما أن الأطفال الذين ينجون من الإصابة، سيواجهون الخطر بسبب عدم قدرة والديهم على العناية بهم.

وللايدز آثار سلبية على الاقتصاد الوطني، فهو إضافة إلى كلفة تشخيصه وعلاجه التي قد تصل إلى خمس الميزانية، يسلب الأمم كثيراً من القوى القادرة على الإنتاج، فهو يصيب الأشخاص خلال السنوات الأكثر إنتاجاً في حياتهم، فتلثي المصابين بهذا المرض، هم دون الخامسة والعشرين من العمر، ففي (ملاوي) مثلاً، يقدر الدخل المهدور بنسبة (٧%) من الناتج الإجمالي بسبب الإيدز، ويُقدر بأن هذه النسبة ستتضاعف ثلاث مرات بحلول عام ٢٠٠٠م.

كانت أول البدايات الموثقة عن هذا المرض، من الدكتور (ميشيل غوتليب) في (لوس أنجلوس). ففي صيف عام (١٩٨١) ظهر عنه أول تقرير من مركز الأوبئة (CDC) في (أتلانتا) في (الولايات المتحدة الأمريكية)، وهو مركز متقدم ومتخصص في مراقبة ومكافحة الأمراض. ثم توالى الأحداث وتتابعت التقارير، وظهر أن أعداد المرضى تتضاعف بشكل متواليات هندسية مخيفة، ومما زاد الخوف والهلع من هذا المرض أن المصابين به، كانوا من

الشباب، ويموتون في عواصم الطب العالمية أمام سمع وبصر الأطباء، دون أن يكون باستطاعتهم إنقاذهم.

ومعلوم أن سرعة المواصلات وسهولتها قد أحالت العالم إلى قرية صغيرة، مما سهل عملية السياحة، التي وسّعت من دائرة انتشار المرض، حتى لم تبق دولة إلا وظهر فيها. بنسب متفاوتة تبعاً للجهل والفقر والممارسات الخاطئة وغير الصحية. وقد نالت الولايات المتحدة نصيب الأسد من هذا المرض في البداية، إلا أن شيوع الفقر والجهل في أفريقيا كان سبباً في إصابة الملايين، وتشهد دول آسيا صعوداً حاداً في الإصابة بهذا المرض.

وفي المؤتمر الدولي لوزراء الصحة الذي انعقد في لندن عام (١٩٨٨)، لوضع استراتيجية عالمية لمكافحة (الإيدز)، برزت فكرة (اليوم العالمي للتعريف بالإيدز)، حيث تولدت قناعة لدى المشاركين، بأنه في غياب العلاج الناجح لهذا المرض، لا يوجد سلاح باليد، أفضل من التعريف بمخاطره وطرق انتقاله وكيفية تجنبه. أخذاً بالقاعدة القائلة: "الوقاية خير من العلاج". فكان الأول من كانون الأول من كل عام، هو اليوم العالمي المعتمد، حيث تشارك كل دول العالم، كل حسب إمكانياته ومقدرته، بالتعريف بهذا المرض، لإيجاد وعي عام يتناسب وخطورة الأمر. وقد اختارت منظمة الصحة العالمية شعاراً لكل عام مثل: "نحو المشاركة في مواجهة

التحدي " لعام ١٩٩١م و"التزام المجتمع" لعام ١٩٩٢م و"حان وقت العمل" لعام ١٩٩٣م وهكذا درج الأمر حتى يومنا هذا.

وقد شارك الأردن العالم في معظم هذه النشاطات والمؤتمرات، كان آخرها المؤتمر العالمي العاشر للإيدز، الذي عقد في مدينة (يوكوهاما) في (اليابان)، والذي حضره ما يزيد عن أحد عشر ألف مشارك من مائة وأربعين دولة، كما شاركت فيه منظمة الصحة العالمية ممثلة بمديرها العام (هيروشي ناكاجيما). وقد ناقش العلماء فيه، السلالات الجديدة لفيروس الإيدز، والأدوية المقترحة والمحاولات العديدة الفاشلة في تحضير الأدوية والمطاعيم ضد الإيدز. وكذلك تقصي الأمور المساعدة على نشر الفيروس والبحث عن طرق جديدة للتوعية والتثقيف للحد من انتشاره.

فيروس الإيدز (HIV)

بعد ظهور المرض مباشرة، بدأ العلماء سلسلة طويلة من الافتراضات والنظريات والأبحاث في مراكز مختلفة من العالم، توصلوا بعدها إلى اكتشاف المسبب. وكان ذلك ما بين عامي (١٩٨٣-١٩٨٤م) حيث ذكر الدكتور (لوك مونتنييه) (Luk Montannier) بأنه قد عزل فيروس الإيدز في معهد (باستور) في فرنسا وأسماه (L.A.V) ثم تلاه الدكتور (روبرت جالو) (Robert Gallo) حيث أعلن أنه قد عزل فيروس الإيدز في مختبرات المعهد القومي لأبحاث السرطان في أمريكا وأسماه (HTL VIII). ثم تبين فيما بعد أنهما اسمان لمسمى واحد. إذ شكلت لجنة علمية دولية لدراسة الاسم وتحديد المكتشف فكانت النتيجة أن سجل الاكتشاف باسم العالمين سالفى الذكر وألغيت الأسماء الأولى وحل مكانها اسم (HIV) وهو اختصار لـ: (Human Immuno Deficiency Virus) وهذا الفيروس دائري الشكل، صغير الحجم، يبلغ قطره جزءاً من عشرة آلاف جزء من الملمتر (١/١٠,٠٠٠ من الملم)، وهو معقد التركيب، فيه ما يميزه عن

غيره من الفيروسات الأخرى، ولكل جزء منه وظيفة معينة أو استعمال خاص لأغراض التشخيص.

وقد تم اكتشاف أكثر من ذرية لفيروس الإيدز، أعطيت أرقاماً متسلسلة وهي (HIV ١)، (HIV ٢)، وقد صنف العلماء (HIV ١) إلى ذريات مختلفة مثل (HIVIA)، (HIVIB)، وهكذا (H, G, F, D, C). وقد أعلن مؤخراً في المؤتمر العالمي العاشر لمرض الإيدز، الذي عقد في اليابان في نهاية عام (١٩٩٤م) بأن العلماء قد عزلوا فيروساً جديداً يختلف عن ما ذكر من الذريات السابقة، وأطلقوا عليه اسم: (HIV Subtype O)، والأبحاث نشطة بهذا الاتجاه، والله وحده أعلم بالنتائج المستقبلية.

العدوى

يتم عزل فيروس الإيدز من أنسجة جسم المصاب وسوائله، مثل المنى والدم والإفرازات المهبلية والدموع واللعاب وكذلك لبن الثدي. والدراسات الوبائية التي أجريت في شتى أنحاء العالم، أظهرت بشكل كبير طرق انتقال الفيروس. ورغم أن الإيدز من الأمراض المعدية، إلا أن الإصابة به ليست أمراً سهلاً كما يتراءى للبعض. فهو لا ينتقل عن طريق الطعام أو الشراب أو الهواء أو المصافحة أو الملابس، ولا حتى استعمال فراش المريض أو الجلوس معه على نفس الطاولة في الجامعة أو العمل، ولكن هناك طرقاً معينة ينتقل بها هذا الفيروس، فهو كما أسلفنا يتركز في سوائل الجسم المختلفة، فإذا انتقل أي نوع منها بأي واسطة، عندها تحدث العدوى. وهذه الوسائط تتلخص بما يلي:

أولاً- السائل المنوي: السائل المنوي للمصاب بفيروس الإيدز، يحمل أعداداً كبيرة جداً من هذا الفيروس، فإذا انتقل إلى طرف آخر بأي من الوسائل التالية يسبب له الإصابة بالفيروس:

أ- الشذوذ الجنسي: خصوصاً بين الشباب، فأى من الطرفين يمكن أن يسبب العدوى للآخر، بغض النظر عن دوره في

عملية الشدوذ، وهذا السلوك الشاذ مع استعمال المخدرات بواسطة الحقن، مسؤولان عن (٩٠%) من حالات الإيدز في الولايات المتحدة الأمريكية حسب تقسيم منظمة الصحة العالمية.

ب- الزنا: وينتقل الفيروس من الرجل إلى المرأة مع السائل المنوي، أو العكس من المرأة إلى الرجل بواسطة السوائل المهبلية، وهذه الوسيلة واسعة الانتشار في أفريقيا.

ثانياً- المحاقن الملوثة: وهذه إما أن تستعمل قصداً نتيجة الإدمان أو جهلاً نتيجة الإهمال. وتحصل الإصابة من خلالها بإحدى الوسائل التالية:

أ- الإدمان على المخدرات بواسطة الحقن: هناك مجموعات من الشباب والشابات، خاصة في الغرب، يجتمعون ليتقاسموا حقنة من الهيروين، ويطلق عليهم وعلى ممارساتهم Group Sex فهذا يأخذ نصيبه بحقن نفسه ثم يعطي المحقن لمن يليه لأخذ نصيبه، وهكذا حتى تنتهي الحلقة، فمن كان منهم حاملاً للفيروس أو مصاباً بالمرض، فإن دمه يلوث إبرة المحقن، وبالتالي ينتقل الفيروس للجميع. وأعداد هؤلاء الشباب كثيرة جداً، حتى

باتت الدول تغض الطرف عن مشكلة إدمانهم على المخدرات، وتقدم لهم المحاقن مجاناً أخذاً بمبدأ أخف الضررين.

ب- استعمال إبرة المحقن طبيياً أكثر من مرة دون تعقيمها: وهذا أكثر ما يحدث في أفريقيا نتيجة الجهل والفقر، فإذا كان المستعمل الأول مصاباً بفيروس الإيدز، تلوثت الإبرة، وبالتالي فمن يستعملها بعده يصاب به، وهكذا، علماً أن قرى في أفريقيا وخاصة أوغندا فيها (٣٠-٤٠%) من السكان مصابون بالفيروس.

ثالثاً - سوائل الجسم الأخرى:

أ- الدم: ويلعب دوراً هاماً في العدوى، إذا كان قد أخذ من حاملي الفيروس، واستعمل في عمليات نقل الدم أثناء العمليات الجراحية.

ب- مشتقات الدم: مثل العامل الثامن، الذي يُعطى لمرضى النزف الوراثي (هيموفيليا) علماً أن مركز مراقبة الأوبئة (CDC) في أمريكا أعلن عن أن (٦٠-٨٠%) من مرضى الهيموفيليا قد أصيبوا بفيروس الإيدز عن هذه الطريق.

ت- حليب الأم المصابة: إذا كانت الأم مصابة بفيروس، وحملت أو أصبحت مرضعاً، فإن الفيروس ينتقل بواسطة الحليب إلى الطفل أثناء الرضاعة، أو للجنين مع الدم والغذاء قبل الولادة.

ث- اللعاب: وهو أمر لم يثبت على الوجه القطعي أنه ناقل إلا أنه لا يوجد ما يمنع ذلك علمياً، حيث أن اللعاب سائل من سوائل الجسم، فيه كريات دم بيضاء، ويمكن أن تكون مملوءة بالفيروسات.

والعلم، فبعد أن طورت طرق للكشف عن التلوث في الدم، وبدأت دول العالم باستعمال ذلك، قلّ دور الدم في نقل الفيروس خاصة في الدول المتقدمة. في حين بقي له بعض الدور في الدول الفقيرة.

رابعاً – زراعة الأعضاء: إذا كان العضو المراد زراعته قد أخذ من شخص مصاب بفيروس المرض، فإن هذا العضو يكون ملوثاً وبالتالي ينتقل المرض معه للمستقبل الجديد. وهذا ربما يحدث عند زراعة الكلية أو القلب أو القرنية، حتى أن أحد المرضى في لندن نقلت له قطعة جلد من متبرع مصاب، لرقع فحذه بعد حادث، فكانت هذه القطعة سبباً في إصابته.

خامساً – متفرقات:

أ- البعوض: كان دور البعوض مشكوكاً فيه، حتى ظهر تقرير في نهاية عام (١٩٩٠) في مجلة ولاية (فلوريدا) للصحة العامة. حيث أجريت الدراسة في أوغندا وثبت لهم ذلك كما تذكر الدراسة.

ب- أدوات الوشم: وهذه ربما تستعمل لوشم أكثر من فرد بالقبيلة دون تعقيم وبالتالي فإنها ربما تكون ملوثة، وسبباً في نقل الفيروس من شخص لآخر خاصة في أفريقيا.

ت- الأدوات الجراحية الملوثة: وهذه رغم ندرة حدوثها في الجراحة، إلا أنها اكتسبت أهمية خاصة بعد التقرير الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في عام (١٩٩١). ومفاده أن أحد أطباء الأسنان الأمريكي كان سبباً في نقل الإيدز إلى ثلاثة من مرضاه أثناء العمل.

وغني عن التأكيد بأن الشذوذ الجنسي والزنا والمخدرات هي القنوات الرئيسية المسؤولة عن انتشار الإيدز، والباقي لا يعدو أن يكون روافد فرعية بسيطة يتناقص دورها يوماً بعد يوم، مقارنة بالأصول الثلاثة الأولى.

الأطوار والأعراض

عندما يدخل الفيروس بأي وسيلة إلى جسم الإنسان، يبدأ بالبحث بشكل رئيسي عن بعض أنواع الخلايا في الدم التي لها موقع القيادة في جهاز المناعة مثل خلايا (T. Cells) فيدخلها، وهو بعد دخوله الخلية إما أن يبقى كامناً فيها، وبذا يبقى قليل العدد، قليل التخريب داخل الجسم، ويسمى المصاب في هذه الحالة حاملاً لفيروس الإيدز (Carrier). وهذا النوع من المصابين أكثر خطراً على المجتمع من المرضى، ذلك لأن حامل المرض لا يُعرف ولا تظهر عليه أي علامات للإصابة، وبالتالي لا يستطيع أحد تمييزه وتجنبه، فيتحرك في المجتمع بسهولة، وينشر الفيروس. وإما أن يستمر الفيروس بنشاطه، فيحتل نواة الخلية ويستعمل كل مقدراتها وأجهزتها لصالحه. كما يتغذى ويتكاثر على حساب أجزائها، حتى إذا قوضها من الداخل، تمزق غشاؤها، وانطلق منها عشرات الملايين من الفيروسات ليحط كل واحد منها على خلية ثانية ويمارس الدور نفسه.

إن علامات وأعراض العدوى بفيروس الإيدز (HIV) متعددة. وهي تتضمن علامات وأعراض الأمراض الانتهازية (Opportunistic Diseases)، وتلك التي يحدثها الفيروس

نفسه. فبعد حدوث العدوى، أي دخول الفيروس إلى الجسم، تحدث عدة مراحل مرضية، ولكن ليس بالضرورة أن تحدث هذه الأطوار كلها في جميع المصابين، علماً بأن المدة بين الإصابة وبين أعراض مرض الإيدز، تتراوح بين ستة أشهر إلى ست سنوات.

وفي هذه المدة الطويلة التي لا تظهر فيها أعراض للمرض، يمكن للشخص خلالها أن ينقل العدوى للآخرين دون أن ينتبه لذلك أحد، وهذا الأمر من شأنه أن يعقد مهمة الوقاية والمكافحة لهذا المرض. والمراحل هي:

١. المرض الحاد: (Acute Illness)

بعد الإصابة بمدة قصيرة قد لا تزيد عن الأسبوع، تظهر على المصاب بعض الأعراض العامة كالحمى، وتضخم العقد الليمفاوية في الرقبة والإبط والأربية، وتبدأ الآلام العضلية والإنهاك والصداع والعرق الليلي والسعال ثم تختفي هذه الأعراض خلال أسبوع أو أسبوعين، وإذا ما أجري للمريض فحص مخبري للأضداد (الأجسام المضادة) خلالها، فعادة ما يكون سلبياً، لأن التحول المصلي لا يظهر إلا بعد مدة تتراوح بين (٦-١٢) أسبوعاً، وفي حالة الاشتباه في تعرض المريض للعدوى، يجب إعادة الفحص بعد ثلاثة شهور.

٢. طور الكمون (Latency Period)

بعدها يأتي طور الكمون، ويستغرق مدة تتراوح بين عدة شهور وعدة سنوات، حيث يبدو المصاب فيها بحالة طبيعية تماماً وصحة جيدة، بينما يتكاثر الفيروس ويصيب مزيداً من الليمفاويات، ويمكن أن ينشره في المجتمع دون أن يشعر به أحد.

٣. اعتلال العقد الليمفاوية المنتشر والمستديم (PGL)

بعد طور الكمون، تظهر في بعض الحالات أعراض تضخم عام منتشر ومستمر بالعقد الليمفاوية في موقعين أو أكثر خارج المنطقة الأربية، ويكون تضخماً مستمراً لعدة شهور، وقد تقل حدته، ثم يعاود الظهور ثانية، وهذه من الأمور التي توجه الطبيب باتجاه مرض الإيدز.

٤. المتلازمة المرتبطة بالإيدز (ARC):

لا يوجد تعريف متفق عليه أو شامل للمتلازمة المرتبطة بالإيدز، ومع هذا، فاستمرار العلامات والأعراض التالية بدون سبب معروف، يعتبر بصفة عامة، سمة مميزة لهذه الحالة وهي: الإسهال المزمن، ونقص الوزن، والفتور، والإنهاك، وفقدان الشهية، والتعب البطني، والحمى، والعرق الليلي، والصداع، وتضخم العقد الليمفاوية، وتضخم الطحال. فضلاً عن تغييرات عصبية تؤدي إلى

ضعف الذاكرة واعتلال الأعصاب المحيطية. وتحدث هذه الأعراض والعلامات بصورة متقطعة ولكن متكررة.

٥. مرض الإيدز (AIDS)

يمثل مرض الإيدز آخر وأشد فصل من فصول المسرحية المؤلمة للإصابة، حيث تطوى بعدها صفحة المريض ليوارى التراب. ويسبق ذلك مسلسل من المعاناة، تبدو فيه الأعراض التي تظهر على مرضى المتلازمة المرتبطة بالإيدز، أشد وضوحاً، وأكثر إيذاءً، كالأضرار الانتهازية (Opportunistic) والأورام السرطانية مثل غرن كابوسي (Kaposi's Sarcoma). وتتوقف العدوى الانتهازية بدرجة كبيرة على مدى تعرض الشخص للجراثيم، ففي أفريقيا نجد أن التهاب الجهاز الهضمي، هو المظهر الرئيسي للعدوى، بينما في أوروبا وأمريكا نجد أن أكثر الأمراض الانتهازية شيوعاً، هو الالتهاب الرئوي بالمتكيسة الرئوية الكارنية (Pneumocystic Carini).

الشذوذ والضلال مجلبة للعقوبة الإلهية

رغم زخم الأحداث التي تشغل العالم، فلا تكاد تخلو المجالات اليومية والدورية، من إشارة قريبة أو بعيدة لهذا المرض (الإيدز) أو غيره من الأمراض الجنسية، فمن إحصائية عنه في بلد، إلى تفصيل عنه في آخر، إلى نفي أو إثبات لوجوده، إلى التقليل أو التضخيم من خطورته، إلى ضحية جديدة به، إلى محاضرة أو ندوة أو مؤتمر عنه. ولعل أهم ما نشر عنه من منظمة الصحة العالمية أن هذا المرض هو أحد الأمراض الجنسية، إذ تبين لهم أن معظم المصابين به هم من الشاذين جنسياً، ومن مدمني المخدرات بالحقن الوريدية.

وبنظرة عاجلة، يتبين أن مصدر هذا البلاء هو الشذوذ، إذ أن إدمان المخدرات هو شذوذ يتبعه شذوذ من نوع آخر، وأن الدم الذي نقل هذا المرض إلى الذين أصيبوا به، وكذلك الدم الذي دخل في صناعة بعض العلاجات، جاء أصلاً من شاذين، كما أن السائل المنوي الملوث الذي يوضع في رحم الأنثى في التلقيح الصناعي جاء كذلك من شاذين.

وإذا كان الشذوذ صفة ملازمة للمصاب والناقل، فما هي مميزات العقوبة التي يصاب بها، وهل من سبيل إلى تجنبها؟ وما

هي صفات المخلوقات التي تسببها؟ وأين أسلحة الطب والتقدم العلمي عنها، بل وأين الأديان ونظريات المصلحين الاجتماعيين والتربويين منها؟ وأين وسائل الدفاع الطبيعية ضدها؟ وما هو العلاج؟!.

وقبل الإجابة على هذه التساؤلات، نُذكر ببديهيتين تُفصي كل منهما للأخرى، وينساهما كثير من الناس.

أولاهما: أن قضية الحياة والموت هي أهم قضية تشغل بال الإنسان في هذا الوجود، تشغله قبل لباسه وطعامه وشرابه، ومتعته وتناوله، وقبل أي شيء آخر، لأنها تتعلق بوجوده أو عدمه، فعندما يثوب إلى رشده، ويتصور العدم والفناء، تراه يضحى بكل ما يملك وما لا يملك – إن استطاع – للتشبث بالحياة ولو للحظة، فيستكثر لنفسه، للمحافظة على جسمه سليماً، ليدوم طويلاً، أما إن بقي سادراً في غيه، هائماً وراء شهواته، فلا يخطر بباله عدم أو فناء، ولا تشغله سلامة جسمه، لا بل يسخر كل طاقاته وقواه لإشباع غرائزه، فلا يفيق إلا على طرقات الموت تدق بابه، وقد تخلى عنه الجميع حتى أجهزة جسمه التي أتلّفها وهو يلهث وراء شهواته.

والثانية: أن عمر البشرية على ظهر هذه الأرض طويل وطويل جداً، إذ تعاقب عليها أقوام وأقوام، تعهدتهم العناية الربانية من وقت لآخر، بأنبياء ورسل تحمل لهم هدي السماء، لتردهم إلى

الطريق المستقيم، لما فيه خيرهم وسعادتهم، وفي كل مرة تثور
ثائرة الظالمين في الأرض، وتتشب المعركة بين الحق والباطل،
معركة غير متكافئة بين الرسل وبين أصحاب الامتيازات والجاه،
حفاظاً ودفاعاً عن امتيازاتهم ومراكزهم، ويستعمل هؤلاء هيمنتهم
بذكاء، فيحولوا المعركة لتصبح بين الشعوب – وهم جزء منها –
وبين الأنبياء والرسل، موهمين الشعوب أن خطر الدعوة الجديدة
سيقع عليهم، وماذا يملك الرسول غير صدق دعوته، يعرضها
بمنطق ولين!! (... فقولا له قولاً لينا).

ولكن أتى للظالم أن يصغي لمنطق!! وينتصر الظالمون
بمعايير البشر فتدخل العناية الربانية لنصرة المظلوم، يتدخل
الخالق بالوقت والكيفية، والسلاح والأسلوب الذي يراه، فيعاقبهم
بعقوبات صارمة لا تبقي ولا تذر، "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد" (١).

عقوبات تأتي على آخرهم، لينظف الأرض من رجسهم،
ويستخلف بها عباده الصالحين، مؤكداً أنها (العقوبات) للظالمين
والمتكبرين، للضالين والفاستدين، للشاذين المغيرين للفطرة
والاستقامة " ... مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد" (٢)

(١) هود ١٠٢.

(٢) هود ٨٣.

ولا يظنن المنقطعون عن هدي السماء في واقع حياتهم، أو المنتسبون له شكلاً، أنهم في منجى من العقوبة، بل ستألمهم كما تتألم الظالمين سواء بسواء، ما لم يؤدوا حق هذا الدين عليهم، بتبليغه للناس، وما لم يعيشوه واقعاً في نفوسهم وبيوتهم وشوارعهم وأدينتهم ومؤسساتهم، وفي واقعهم كله "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب" (١). نعم عاقبهم الله في الدنيا بأسلحة لم تخطر على بال تلك الأقوام، "... وما يعلم جنود ربك إلا هو..." (٢) أما عقابهم في الآخرة، فأمره موكل إليه وحده ومن صور هذه العقوبات الدنيوية ما يلي (٣):

- ضنك العيش: الذي عاقب به آل فرعون.
- الطوفان: الذي عاقب به قوم نوح.
- الريح العقيم: التي عاقب بها قوم عاد.
- الخسف: الذي عاقب به قارون.
- الصيحة (الصاعقة): التي عاقب بها ثمود قوم صالح عليه السلام، لما خالفوا أمر الله ورسوله.

(١) الأنفال ٢٥.

(٢) المدثر ٣٢.

(٣) قصص الأنبياء، لمؤلفه عبد الوهاب النجار.

- التيه: الذي عاقب به قوم موسى عليه السلام، عندما خالفوه وأعرضوا عن الجهاد، ودخول الأرض المقدسة، فحرم عليهم دخولها أربعين سنة، فوقعوا في التيه والضياع في صحراء سيناء، يسيرون ليل نهار للخروج منها ولا يهتدون.
- المسخ: الذي عاقب به بني إسرائيل عندما عصوا أمر الله وخالفوا عهده الذي أخذه عليهم، من تعظيم يوم السبت، فمسخهم إلى صورة القردة والخنازير.
- الجراد والقمل والضفادع: التي سلطها الله على آل فرعون.
- التدمير: الذي يعاقب به كل من يعرض عن ذكر الله، ويرتكب الفواحش والمنكرات: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً"^(١).
- الغرق: الذي أهلك الله به فرعون وقومه، عندما عصوا موسى عليه السلام، فهرب بنو إسرائيل، ولحق بهم فرعون وجنوده.

(١) الإسراء ١٦.

● تسليط الأعداء: الذي عاقب به بني إسرائيل، بأن سلط عليهم فرعون، يذيقهم سوء العذاب، يقتل كل ذكر يولد لهم، ويبقي على البنات، ويستحيي النساء، ويأمر باستعمالهم في أرذل الأعمال وأشقها.

● حجارة من سجيل: التي عاقب بها قوم لوط، بعد أن دمر قراهم لأنهم أول من ابتدع (الشنوذ) اللواط على ظهر البسيطة، كما عاقب بها أبرهة الحبشي عندما جاء لهدم الكعبة.

ولكي ندرك بشاعة جريمة اللواط (الشنوذ)، وهي سبب العقوبة التي حاقت بقوم لوط، يحسن بنا أن نعرض لقصتهم سريعاً، لكي نطلع على مصارع الذين غضب الله عليهم، ليكون في ذلك عبرة لقوم يعقلون، وتتخلص قصتهم، في أنهم أدمنوا ممارسة اللواط، فأرسل الله لهم نبيه لوطاً عليه السلام "ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنت تبصرون" (١)، فأجابه قومه إجابة منكراً، إجابة كل مجتمع يسمي التدين رجعية وتعصباً، والطهارة جريمة يستحق فاعلها النفي بسببها، "فما كان جواب

(١) النمل ٥٤.

قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون" (١) واستشرى الشذوذ وصار يمارس علانية في أنديتهم، كما هي الحال في العالم الغربي اليوم، طمح الكيل فلا حوار لوط معهم يجدي، ولا إقناعه لهم بالتزوج من النساء يفيد، وقالوا له في صلف: "أنتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين" (٢). فرتبت السماء الأمر، وأرسل الله وفداً من ملائكته، برئاسة سيدنا جبريل، عليه السلام، في مهمة مزدوجة حيث توجهوا أولاً إلى أبي الأنبياء إبراهيم، يحاورهم في شأن قوم لوط، واحتمال رجوعهم عن غيهم، ولكن الملائكة بينت له أن الله قد حسم القضية "يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود" (٣) ثم خرجوا من عنده قاصدين قوم لوط، بهيئة شباب مشرقة وجوههم، وسيمة خلقتهم، والتقوا بنبي الله لوط على مشارف سدوم، وهو يجهل حالهم، فلما عرف أنهم ضيوفه وضع يده على قلبه، وكنتم أنفاسهم وتمتم قائلاً "هذا يوم عصيب" (٤) وظل طوال

(١) النمل ٥٦.

(٢) العنكبوت ٢٩.

(٣) هود ٧٦.

(٤) هود ٧٧.

الطريق يعرض عليهم أن ينصرفوا عنه، قائلاً والله ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبت من هؤلاء، وتستمر الملائكة في صحبته، لتنفيذ أمر الله. ودخلوا بيته، وما أن أخذوا مجالسهم، حتى أسرعت زوجته الكافرة، لأخبار القوم بهذا الصيد الثمين قائلة لهم: إن في بيت لوط رجال ما رأيت مثل وجوههم قط، فهرعوا المجانين، وعسكروا حول الدار، وحاول لوط إقناعهم واستثارة أحاسيس الشفقة واستجاشة مشاعر الرجولة عندهم دون فائدة، "قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أظهر لكم فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد" (١) لكنهم أجابوه بكل صفاقة، "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد" (٢) وتأزم الموقف، وانتاب الحزن الشديد قلب نبي الله لوط، ويكشف الضيوف عن حقيقتهم ويطلبون إليه مغادرة المكان، "فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" (٣)

(١) هود ٧٨

(٢) هود ٧٩

(٣) هود ٨١

وبقيت حشودهم على الباب فخرج عليهم جبريل وضرب
وجوههم بطرف جناحه فطمس على أعينهم فرجعوا إلى
بيوتهم يتخبطون الطريق، وجاء الصبح، الصبح، الموعد.
فاقتلع قراهم، ورفعها إلى علياء السماء وجعل عاليها
سافلها، ثم تتبعت الطير من لم يكن منهم في هذه القرى،
تمطرهم بحجارة مصنوعة من طين مشوي، مختوم على
كل منها اسم صاحبها، يحمل الطير منها ثلاثة أحجار،
حجرا في منقاره واثنين في رجليه ترمي بها قوم لوط،
فبينما يكون الواحد منهم بين الناس، إذ تسقط هذه
الحجارة فتهلكه حتى أنهتهم عن آخرهم "فلما جاء أمرنا
جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل
منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين
ببعيد" (١).

وهكذا طوى الله سبحانه صفحة من صفحات
المفسدين في الأرض، وترك لنا بعض آثارهم (منطقة
البحث الميت)، لعلها تكون عبرة وعظة لقوم يعقلون،
"ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون" (٢).

(١) هود، ٨٣، ٨٢

(٢) العنكبوت ٣٥

وبعد: ألسنت ترى معي أن المجتمعات الغربية تحذو
حذو قوم لوط حذو النعل بالنعل! فما المانع أن يصيبها ما
أصابهم؟؟ لا تعجل فسيصيبها، أليس الصبح بقريب؟
وربما بأسلحة لا يعلمها إلا الذي سيسلطها عليهم، وما
الكوارث والأوبئة الجديدة وما يختزنه المعسكران، من
أسلحة الفتك والدمار، إلا إرهابات تنذر بذلك، فهل من
مذكر؟؟

● الإصابة بالأوبئة الجديدة: التي عاقب ويعاقب بها كل
مجتمع يشذ عن الطريق المستقيم، قال صلى الله عليه
وسلم: "إن هذا الوجد أو السقم^(١) رجز عذبت به أمم
قبلكم ثم بقي بعد بالأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى..."
^(٢). وقال: "كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله
أن تكون فيكم أو تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة في قوم
قط، يعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون
(الوباء)، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم." ^(٣) وقال:
"إذا استحللت أمي خمساً فعليهم الدمار، إذا ظهر التلاعن،

(١) السقم: الطاعون.
(٢) صحيح البخاري.
(٣) رواه الحاكم.

وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القينات، واكتفى
الرجال بالرجال والنساء بالنساء" (١).

وبعد: أليس اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء
بالنساء، هو الشذوذ بعينه؟ وهو الذي أثمر لنا أمراض لم
تكن في أسلافنا، فهل الإيدز وما شابهه أمراض قديمة أم
جديدة؟

لقد اجتمعت لهذا المرض والفيروس المسبب له (كمثال
للأمراض الجنسية)، خصائص وصفات غريبة جعلت منه أمراً غير
عادي، حار به الخاصة، وأرعب العامة، حار به الخاصة، لما عرفوه
من طرق انتقاله، وكيفية عمله، وسرعة تكاثره، والتغير السريع
الذي يطرأ عليه، وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع، واختياره
العجيب لأهم أجهزة الجسم (جهاز المناعة)، ثم الغموض الذي
يكتنف أعراضه وأطواره، والوهن المريع الذي يؤول إليه المريض،
حتى تصبح أضعف الجراثيم مؤهلة للقضاء عليه. وأما رعب العامة
الذي بلغ درجة الهستيريا، فسببه جهلهم بالمرض الجديد، وسرعة
فتكه، والنهاية المفجعة للمصابين به، وكلفة المعالجة الباهضة
وعدم جدوى العلاج، ثم اختياره لأعز شهواتهم طريقاً لإصابتهم
بالمرض، ومن هذه الخصائص والصفات ما يلي:

(١) رواه البيهقي.

أولاً: عدم قدرة الإنسان على صناعة طعم واق من الإيدز والسفلس والسيلان حتى هذا الوقت.

ثانياً: الإيدز يتحدى الطب إذ لا علاج له.

ثالثاً: الآثار الاقتصادية المدمرة للإيدز والأمراض الجنسية الأخرى وهذه عقوبة كبيرة.

وأخيراً: القتل البطيء.

فالعقوبة التي تحيق بالإنسان وتقتله فوراً، هي أقل إيلاماً لنفسه من تلك التي تذيبه العذاب الطويل قبل أن تقتله، والأمراض الجنسية بشكل عام، والإيدز بشكل خاص، هي من هذا النوع، فهي بآلامها النفسية وعذابها الجسماني، تقتل صاحبها ألف مرة قبل أن تؤدي إلى موته، لذا فهي توصف أحياناً، بأنها معذبة أكثر منها قاتلة. فالشاذ الذي مارس الجنس، أو تناول المخدرات بالوريد ولو مرة واحدة، يبقى في قلق دائم، يصغي لكل ما يقال عن المرض ويلفت نظرة كل ظاهرة في جسمه، ويهزه كل عارض يحس فيه، فيقتله الوسواس، وفي أعماقه سؤال حائر، هل أصيب بفيروس الإيدز أم لا "يحسبون كل صيحة عليهم"^(١)، وسواء ظهرت عليه أم لم تظهر أعراض الإصابة بالمرض، أو تكرر ظهورها واختفاؤها،

(١) المنافقون ٤.

يبقى الشاذ في حالة ترقب وانتظار، فإذا تأخر ظهورها أو اختفت، يظن أنه قد شفي وسلم، ثم يفاجأ بظهورها، وقد تستمر أعراض المرض بالظهور والاختفاء، في بعض الأمراض الجنسية رديحاً من الزمن، فيبقى المريض معلقاً في الفراغ، فلا هو مريض طريح الفراش، ولا هو بالسليم المعافى.

وهكذا فالشذوذ مجلبة للعقوبة الدنيوية التي يمكن للمراقب أن يراها ويرصدها، أما العذاب الآخر فهو الأدهى والأمر "كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون" (١).

(١) القلم ٣٢.

الوقاية خيرٌ من العلاج

"درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج"، قول قديم تزداد قيمته مع الزمن، وتؤمن به النظريات الطبية الحديثة أكثر من وقت مضى، ولكن لسوء الحظ، لا يفطن له الناس إلا بعد فوات الأوان، فالشذوذ مثلاً، رغم أنه مغاير لكل التعليمات السماوية، وللذوق السليم، لم تفكر المجتمعات في العزوف عنه، إلا بعد أن استشرى بها الإيدز، فندم الناس في وقت لا ينفع فيه الندم، وطفقت السلطات الصحية، تبحث عن العلاجات وتصدر القوانين والتعليمات، دون جدوى.

وعند النظر إلى هذا المرض، والتعرف على ضحاياه، وكيف يقتلهم، رغم التقدم الطبي، وعدم فعالية العلاجات المتوفرة للإنتانات الانتهازية، لتلف جهاز المناعة في جسم المصاب وتعطله عن العمل، ثم النهاية التي أصبحت حتمية لكل من يصاب به، لكل هذا نرى فيه ما لا يراه غيرنا، إننا نرى طرق علاجه والوقاية منه، تختلف عن الطرق المتبعة حالياً، لأننا نؤمن بالحلول الكلية لا الجزئية، فالإنسان في نظرنا كلٌّ متكامل يجب النظر إليه، نظرة شمولية موضوعية، ولتوضيح ذلك نقسم العلاجات والإجراءات الوقائية إلى قسمين: العلاجات الآتية، والعلاجات الجذرية.

العلاجات الآنيّة

مرضى الإيدز بحاجة إلى معالجة ومراقبة مركزة، فهم يمضون وقتاً طويلاً في المستشفيات، فما أن يخرج أحدهم منه بعد أن يتمثل للشفاء من مرض ما، حتى يعود إليه ثانية للمعالجة من إنتان آخر، لذا فهم بين دخول وخروج لمدة تنتهي بالموت. لهذا فإن علاج المصابين به مكلف جداً، إذ أن المريض الواحد يكلف بين (٥٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠) دولار. وقد بلغت مصروفات العلاج والمراقبة في بريطانيا وحدها - وهي لا تساوي إلا جزءاً قليلاً من كلفته في أمريكا - حوالي ٢٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً. ويمكن تصنيف الخدمات التي تقدم لمرضى الإيدز إلى قسمين: علاجي، ووقائي.

القسم العلاجي

١. علاجات الإنتانات الانتهازية

وهذه تنقسم من حيث توفر العلاج لها إلى نوعين، فمنها ما له علاج معروف، ولكنه يحتاج إلى مدة طويلة، يعاني المريض أثناءها آلاماً حادة، ومضاعفات جانبية أكثر إيلاًماً، حتى أن المريض يرفض أحياناً، أخذ الحقن من شدة ألمها ومضاعفاتها، ومع ذلك لا

تقوم هذه العلاجات بدورها المطلوب، لغياب مساعدة جهاز المناعة عند المصاب. والنوع الآخر منها، لا علاج له إلى الآن، مثل الالتهابات التي يسببها طفيل (كربتوسبورديم)، الذي يسبب إسهالات شديدة للمريض، والالتهابات التي تسببها جرثومة شبيهة بجرثومة السل وتسمى (*Mycobacterium Avium* Intracellulare) وكذلك الإصابات التي تسببها فيروسات (E.B.V.) و (C.M.V.).

٢. علاج سرطانات الجلد والأنسجة الضامة:

(Kaposi Sarcoma) الأظوار الأولى لهذا السرطان، يمكن أن تعالج جراحياً أو بواسطة الأشعة، أما الأظوار المتقدمة منه، فلها علاجات أخرى، ولكن لها مضار جانبية كبيرة، حيث تزيد من تلف جهاز المناعة عند المريض، وبالتالي تزداد فرصة الإيدز، والإنذانات الانتهازية الأخرى – وأفضل هذه العلاجات إلى الآن وأقلها ضرراً – هو ما يسمى (انترفيرون) (Interferon)، ولكن سيئتها الرئيسية أنها مكلفة جداً، والأبحاث جارية الآن، لاستحداث طرق لتصنيعها بكميات تجارية تكون كلفتها المادية مقبولة.

٣. محاولة علاج فقدان المناعة:

كما ذكرنا سابقاً، فإن فيروس الإيدز، يتلف الجسم الخلايا الليمفاوية المنشطة، فوجوده داخلها يجعل من الصعب جداً التخلص منه، إذ لا يوجد للآن علاج يعيد بنيان جهاز المناعة التالف، إلا أن المحاولات لازالت جارية بشكل حثيث لإيجاد علاج لذلك، ومع أن الأمل ضعيف، إلا أن العلماء يعلقون بعض الآمال على مادة (الإنترفيرون)، ومادة (انترليوكن) المنشطة للخلايا الليمفاوية، وبعض الهرمونات وكذلك استخدام طريقة الحماية السلبية، وذلك بحقن المريض بأجسام مضادة جاهزة الصنع، وهي ما زالت آمالاً قيد البحث، وإن نجحت، فإن فعاليتها ليست طويلة.

٤. محاولة منع فيروس الإيدز من التكاثر داخل الخلية.

ربما تؤثر بعض الأدوية على فيروس الإيدز، بأن تمنع تكاثره داخل الجسم، ولكنها لا تستطيع إصلاح ما قد تلف من خلايا جهاز المناعة، وقد ثبت أن الفيروس، يستعيد نشاطه، ويكمل مشواره حال زوال أثر العلاج. وقد جربت عليه مواد كثيرة في المختبر – خارج جسم المريض – وكان لها فعالية جيدة عليه. إلا أن لها مضاعفات جانبية على المريض.

وتجري الآن تجارب عديدة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا و عدة دول أوروبية على علاج اسمه (AZT) وقد ثبت

أنه يساعد على تخفيض احتمالية إصابة الجنين عند الأم المصابة بالفيروس.

نخلص من كل هذه المحاولات إلى القول: أنه لا يوجد علاج شاف من هذا المرض حتى الآن، لذا توجهت أنظار العلماء والسلطات الصحية في الغرب، إلى وضع تعليمات عامة للحد من انتقال المرض، وهم يعلقون عليها آمالاً أكثر مما يعلقون على العلاج.

القسم الوقائي

رغم أن العلم قد نجح في إيجاد الطرق الميسرة لتشخيص المرض أو كشف الإصابة بالفيروس، وأصبح الأمر في متناول اليد، إلا أن فائدة ذلك تبقى قليلة ما دام العلم قاصراً عن إيجاد علاج ناجح وطعم واق من هذا الفيروس. لذا لا يتوفر الآن إلا بعض الإجراءات الوقائية لتخفيف انتشاره ما أمكن.

والمصابون بهذا الفيروس يقعون في مجموعتين

رئيسيتين:

- أ- المرضى الذين ظهرت عليهم علامات المرض كاملة.
- ب- حاملي فيروس الإيدز: ورغم أن حاملي الفيروس أخطر على المجتمع من المرضى، إلا أن كلاً منهم معدٍ للغير،

لذلك لا بد من التعامل معهم حسب الإرشادات المتبعة دولياً وهي:

١. فحص كل وحدة دم، قبل نقلها لأي مريض، للتأكد من خلوّها من فيروس الإيدز.
٢. عدم استعمال أي من مشتقات الدم، خاصة العامل الثامن المستعمل لمرضى النزف الوراثي (هيموفيليا)، إلا إذا ثبت خلوّها من الفيروس.
٣. منع أي مصاب من التبرع لغيره بأي من أعضائه مهما كان السبب.
٤. تتصح منظمة الصحة العالمية الناس باتباع الطريق الفطري عند قضاء الشهوات الجنسية والابتعاد عن تعدد الشركاء.
٥. تتصح زوجات المصابين بعدم الحمل، لأنهن وأطفالهن معرضون للإصابة، ولا بد من استعمال الكيس الوقائي أثناء الاتصال الجنسي.
٦. عدم استعمال ما يخص المصابين من أدوات، كفرشاة الأسنان وموس الحلاقة وغير ذلك.

٧. يجب تطهير أي منطقة تلوثت بدم أو سوائل أي مصاب
بالفيروس بواسطة استعمال المطهرات، لأن ذلك كافٍ
للقضاء على الفيروس.

٨. على المصابين إعلام أطبائهم، خاصة أطباء الأسنان، لأخذ
الاحتياطات اللازمة.

٩. إعلام الفريق الطبي عند إجراء أية عملية جراحية
للمصاب بالإيدز؛ لأخذ الاحتياطات من حيث التعقيم اللازم
للأدوات والحذر الخاص من قبل أعضاء الفريق.

١٠. وضع عينات الدم بأنابيب خاصة، عليها ملصقات ظاهرة،
وجالبة للانتباه، تشير بوضوح للإيدز، للتعامل معها
بالطريقة المثلى، حفاظاً على العاملين بالمختبرات، ومنعاً
لنشر الفيروس.

ومن الأمور الرئيسية المعتمدة في البرنامج العالمي لمكافحة
الإيدز (GPA) ما يتعلق بالثقيف، وهو السلاح المتوفر للجميع،
لمحاربة هذا الوباء الجائع، ويمكن أن يتحول أثر الثقيف الناجح
إلى ما يشبه الطعم الواقي وبخاصة إذا عرف الناس ماهية المرض،
وطرق انتقاله، وكيفية تجنبه بأساليب مبسطة ومفهومة للجميع. ولا
بد من الاعتراف والتذكير بأن ما يتعلق بتغيير التصرفات
والسلوكيات عند الشباب يحتاج إلى تركيز ومتابعة حتى يثمر.

وعلى أي حال، لا بد من استعمال وسائل التثقيف المختلفة في اليوم العالمي للإيدز، وفي غيره من سائر الأيام، من تلفزيون وشريط ومذياع ومحاضرات وندوات وصحف ومجلات وكتيبات ونشرات وملصقات مختلفة.

وفي بلادنا العربية والإسلامية لا بد من تحصين الشباب بالخلق القويم، والعلم النافع والتثقيف الصحيح الذي يجنبهم ويلات الوقوع في مستنقعات الشذوذ والزنا والمخدرات، وتذكيرهم بأن الدول التي لم تحسن تنشئة شبابها باتت تحصد ما زرعت من إيدز وسفلس ومخدرات وغير ذلك الكثير. والعاقل من اتعض بغيره وتجنب المزلق، وأصبح عامل بناء وتقدم في وطنه، لا عبأً وعالة عليه.

مكافحة العدوى في المنزل

نظراً لأن معدلات العدوى بفيروس الإيدز بتصاعد مستمر فقد لا تستطيع المستشفيات تلبية جميع طلبات الرعاية، وعلى ذلك سوف يزيد عدد المرضى الذين يُعنى بهم في منازلهم، وهذا الوضع يتميز بأن الرعاية فيه أقل تكلفة، كما أن المرضى كثيراً ما يفضلونه، نظراً لما يجدونه من راحة نفسية في بيئتهم المألوفة.

والممرضة هي المسؤولة عن تعليم المرضى وأفراد أسرهم والقائمين على رعايتهم، بالأمور المتعلقة بالعدوى، ويمكن

للمريض استقبال الزوار، كما يمكن رعايتهم بدون تعريض الآخرين للخطر، ويجب على الممرضة تلقين أعضاء الأسرة كيف ينتقل الفيروس، وكيف يحمون أنفسهم منه.

وفيما يلي إرشادات ينبغي لجميع أفراد الأسرة أن يعرفوها ويطبقوها، لأن الناس أصبحوا مضطرين للتعايش مع المرضى، ولأن كثيراً من البيوت تضم تحت جناحها مريضاً به:

- يجب اتخاذ الاحتياطات عند ملامسة الدم أو البراز أو المنى أو الإفرازات المهبلية، وإذا كانت القفازات باهظة الثمن أو غير متوفرة فيمكن استخدام الأكياس البلاستيكية والورق المقاوم للبلل وغير ذلك من المواد المناسبة.

- يمكن تعطيل عمل فيروس الإيدز بفعل مزيل الألوان (Bleach) والكحول واليود والصابون.

- يجب حماية المريض من الجراثيم التي تسبب الالتهابات الانتهازية، ويمكن تحقيق ذلك بتعليم المريض وأسرته ممارسة القواعد الصحية في المنزل، لأنها تحمي كلاً من المريض وأسرته، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- تغطية الفم عند السعال أو العطس.
- غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وكذلك بعد قضاء الحاجة.
- الاستحمام بانتظام.

○ الحفاظ على النظافة الشخصية.

العلاجات الجذرية

الحضارة عملة ذات وجهين متكاملين، وجه مادي قوامه التقدم المادي الملموس، ممثلاً بالصناعات المشاهدة المحسوسة، التي تفتقت عنها عبقرية الإنسان، ووجه روعي قوامه مجموعة القيم والعادات والأعراف التي يعيشها الإنسان، ويضبط بها ما انتهت إليه عبقريته من صناعات لتسهم في سعادته، وهذه القيم، قد تكون من صناعة الناس أو من صناعة خالق الناس، فإن كانت من صناعة الناس فهي قلقة غير مستقرة، متفاوتة من بيئة لأخرى، وبالتالي فهي ناقصة مبتورة، لأنها نتاج عقل محدود يعتريه الهوى والميل والنقص والنسيان، وهي وإن أسعدت صانعها ومن حوله رداً من الزمن، فإنها لن تسعد الجيل الذي يليه، لذا فهي مبتورة ومصيرها إلى الزوال. أما إن كانت من صناعة خالق الناس، فهي دائمة موضوعية، مستقرة متماثلة في جميع البيئات، لأنها تنظر للإنسان نظرة شمولية، فتعالج كل جزئية في حياته وهي سهلة سهولة فطرة الإنسان وبساطتها، وبالتالي طالما أسعدته فلا حاجة به إلى تغييرها.

وهكذا إذا تفيأ الإنسان ظلال حضارة توافر لها هذان الركنان معاً، فإن حياته تكون سعيدة على ظهر هذه الأرض، أما إذا

تخلف أحدهما فإنه سيشقى شقاءً مرأً، إذ لو تصورت غياب الركن
المادة مثلاً فمغنى ذلك، العودة بالمجتمع إلى البدائية المطلقة، لأن
القيم والعادات والأعراف لا تطعم خبزاً، ولا تبني حضارة لأمة،
وبالتالي لا تستقيم الحياة ولا تتحقق عمارة الأرض ولا خلافة
الإنسان فيها. ومثل ذلك لو تصورت غياب الركن الروحي - كما هي
الحال في الشرق والغرب - فإن مثل هذا المجتمع مهدد بالفناء في
كل لحظة، ولو طاولت حضارته المادية عنان السماء ذلك لأنها
تحمل في طياتها بذور فنائها، فهذه الأسلحة الفتاكة التي تعج بها
مصانع الشرق والغرب، قادرة على أن تحرق الكرة الأرضية لذا لا
بد لها من قيم روحية تضبطها وتجنب البشرية أخطارها وعليه لا بد
من توافر الركنين، وتكاملهما معاً، وإلا كانت حضارة عرجاء
مشوهة. وقد أصاب آينشتاين عندما قال: "دين بلا علم أعمى وعلم
بلا دين أعرج".

وبتقديرنا، فإن غياب الركن الروحي، هو أخطر على
البشرية ألف مرة من غياب الركن المادي، وبالتالي ورغم تخلف
الركن المادي في بلادنا الإسلامية، فإنه آن لأمتنا أن تدرك أهمية
الدور الذي يمكن لها أن تسهم به في صنع الحضارة على الأرض،
وهو رصيدها من القيم الروحية التي تفتقد إليها البشرية جمعاء.

وهذا الركن خاص بها، ولا يملكه غيرها، ذلك لأنه لا يُصنع في مصنع ولا يزرع في مزرعة، ولا يهجن في مختبر.

وقد تولت العناية الإلهية، تزويد الإنسان بما يسعده في الدنيا والآخرة، على أيدي رُسل وأنبياء بعثهم الله تباعاً على مر الزمان، كان آخرهم وخاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم، بما حملته للبشرية من رسالة تصلح لكل زمان ومكان، وهدى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه خاطب الإنسان بشقيه المادي والروحي، خاطب فيه العقل والروح معاً وأشبعهما معاً، حتى لا يعيش المسلم التناقض، فلم يترك العقل ينمو على حساب الروح، ولا الروح على حساب العقل، وبذا ارتقى به أن يهبط إلى مرتبة الحيوان، أو أن يتجاوز إنسانيته إلى عالم ملائكته.

وليس مصادفة أن تعبت شياطين الإنس والجن بالركن الروحي للحضارة البشرية، وذلك لأهميته البالغة، فعبثت به الصهيونية الساعية إلى تدمير البشرية، بنظريات وضعية من صنع ماركس وفرويد ودارون وغيرهم، ليدمروا الإنسان، مادة الحضارة ومحورها، ليسهل لهم بعد ذلك قيادة البشرية.

وعلى هدي هذه الرسالة السماوية، نتلمس الحل الجذري للبشرية المعذبة بهذا الوباء وبغيره من الأوبئة، فنرى أنها تأخذ بكل

الأسباب المادية الصحيحة التي من شأنها الحد من انتشار هذه الأوبئة وتضع التشريعات لاقتلاع الداء من جذوره، فهي:

١. تحريم الشذوذ والإباحية.
٢. تحريم المخدرات.
٣. تيسر الزواج وتحث عليه.

تحريم الشذوذ والإباحية

الشذوذ (اللواط) هو قضاء الشهوة الجنسية مع نفس النوع، وهو ارتكاس في الفطرة، وانغماس في حماة القذارة، وإفساد للرجولة، وجناية على الأئوثة، وانحراف بالشعور، يهبط بصاحبه إلى مرتبة يترفع عنها الحيوان. ولعل أسباب وبواعث هذا الحب الشاذ راجع إلى الشذوذ في الغريزة الجنسية.

وقد ثبت أن اللواط مسؤول عن غالب الإصابات بفيروس الإيدز، وبالتالي فهو أوسع قنوات انتشار هذا المرض على الإطلاق، ولا يقف خطره عند هذا الحد، بل يتعداه إلى نشر العديد من الأمراض الجنسية الأخرى، بالإضافة إلى آثاره السيئة، من تخريب للنفس والجسم والمجتمع. لهذا أجمعت الشرائع السماوية على تحريمه، وقد انفرد عنها الإسلام بأمرين:

الأول: أنه هيا للمسلم كل السبل، ليعيش حياة جنسية سليمة متكاملة، فرغب بالزواج، وحث على تيسيره، وجعله على نفقة بيت مال المسلمين في حالة العسرة، كما أطلق للذكر والأنثى حرية الاختيار، وأتاح لهما معرفة بعضهما قبل الزواج، دونما خلوة آثمة. وبعد ذلك إذا لم يحالفهما الحظ في الاختيار الأول، أباح الزواج

الثاني والثالث والرابع، فإن استحالت الحياة الزوجية، أباح لهما الطلاق في ظروف معينة.

والثاني: أنه بعد أن هيا كل هذه التسهيلات لحياة زوجية سعيدة مستقرة، لا يسوغ الشذوذ ولا يُفسر، إلا أنه نزعة شريرة في نفس صاحبها، يجب استئصالها من جذورها، لذا عاقب على هذه الجريمة النكراء بأشد العقوبات، حيث تتفاوت بين الحرق بالنار إلى الرمي من شاهق منكساً، ثم يتبع بالحجارة على مرأى من الناس، وذلك تطهيراً للمجتمع من رجسه.

وقد عاقب الله سبحانه قوم لوط على هذه الجريمة عقوبة مروعة، وتهدد كل مجتمع يفعل فعلتهم بأشد العقوبات "مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد"^(١) وبلغ استنكاره لهذه الجريمة أنه ذكرها وعقوبتها، في عشر سور من القرآن الكريم^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"^(٣).

هذه العقوبة الصارمة، وهذا التهديد العنيف لمرتكبي هذه الجريمة، راجع لآثارها الجسمية والنفسية على الفرد والمجتمع،

(١) هود ٨٣.

(٢) الأعراف، هود، الحجر، الأنبياء، الفرقان، النمل، الشعراء، العنكبوت، الصافات.

(٣) رواه ابن عباس وأبو هريرة.

من نشر الأمراض الجنسية إلى الانحطاط الخلقي، إلى نشر الفساد
في المجتمع.

تحريم المخدرات

المخدرات من الخدر، وهو الكسل والفتور، والمخدر مادة تحدث خدراً في الجسم بتناولها، في حين تحدث المسكرات نشوة وسروراً وقوة، وميلاً إلى البطش والانتقام. ومشكلة المخدرات، من القضايا الهامة والخطيرة في العالم، لذا اقتضى الأمر، التعرف عليها وعلى أخطارها وعواقبها، وآثارها على عقل الإنسان وجسمه، وعلى الأمة وأخلاقها، ثم رأي الإسلام بها.

فالمخدرات لم تكن معروفة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل بها تحريم يتناولها بالاسم، كما هو الحال في الخمر، مما جعل أعداء الإسلام يذهبون إلى التشكيك في تحريمها، حتى أن بعض الجهلة، يحرم شرب الخمر، ويقبل على تعاطي المخدر، فيهرب بذلك من شر إلى ما هو أكثر منه شراً، ومن حرام إلى ما هو أكثر حرمة منه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن كل مسكر حرام، وكل مخدر حرام، وما أسكر كثيره حرم قليله وما خامر العقل فهو حرام"^(١).

(١) من كتاب الأشربة وأحكامها، د. ماجد أبو رحية.

وقال: "كل مسكر خمر وكل خمر حرام"^(١) وهكذا، فهي حرام ومن عموم الخبائث الواردة في قوله تعالى: "ويحرم عليهم الخبائث"^(٢) ويُحَدِّدُ تناولها كما يُحَدِّدُ شارب الخمر، لأنها تؤدي إلى ضرر في دين المرء، وعقله وخلقه وطبعه وجسمه، كما تورث صاحبها قلة الغيرة وزوال الحمية^(٣).

وقد اصطلحت الهيئات العلمية، على تقسيمها من حيث آثارها إلى مخدرات منبهة: مثل الكوكائين، ومخدرات مسكنة مثل: (أ) مشتقات الأفيون كالمورفين والهرويين والكودائين. (ب) مخدرات غير أفيونية كالحشيش.

وتؤخذ عادة بالفم، أو بواسطة الحقن الوريدية وهي بكافة أنواعها، وعن أي طريق أخذت تؤدي إلى غياب العقل، وفتور الهمة، ويميل متعاطيها إلى الرغبة في النوم، كما تؤدي إلى تحطيم شخصية المدمن، وتسبب له ما يسمى بتفكك الشخصية، وتجعله فاشلاً في عمله، والمدمن، متقلب العواطف، عديم التحكم بغرائزه، وأغلب المدمنين مصابون بمركب النقص، ويميل كثير منهم إلى الشذوذ

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٢/١٣.

(٢) الأعراف ١٥٧.

(٣) الأشربة وأحكامها، د. ماجد أبو رخية.

الجنسي. وهو إذا اشتد به الإدمان، يبدأ بالانحراف فيكذب ويسرق ويغش ويقتل في سبيل الوصول إلى بغيته.

والحقيقة أن مشكلة المخدرات خطيرة جداً، فقد اقتحمت أسوار العالم، ونظراً لخطورتها فإنها محظورة دولياً، وتسعى الدول جاهدة للقضاء على هذه الظاهرة، إلا أن الأرقام تشير إلى زيادة في نسبة رواجها وإنتاجها وتعاطيها، والناس اليوم بحاجة ملحة إلى من يحميهم من التشرد والضياع، وبحاجة إلى عقيدة تملأ قلوبهم بالإيمان، وما ظاهرة زيادة تعاطي المخدرات، إلا علامة من علامات الخواء الروحي الذي يعيشه إنسان أواخر القرن العشرين، الذي وأن كانت حضارته قد أراحته من كثير من الأعباء المادية، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في إدخال السعادة النفسية إلى قلبه، وما زيادة نسبة الجرائم بأنواعها، من انتحار وسرقة واغتصاب واعتداء على الأعراض والأموال في أكثر البلدان رقياً وتقدماً مادياً، كأمریکا والسويد وغيرها، إلا شاهداً على ما نقول، وخير شاهد على أن حضارة القرن العشرين، هي حضارة عرجاء تقف على ساق واحدة.^(١)

(١) الأشرية وأحكامها، د. ماجد أبو رحية.

وقد أسلفنا الإشارة إلى أن إدمان المخدرات بواسطة الحقن الوريدية يعتبر من أوسع قنوات انتشار مرض الإيدز بعد اللواط، كما أوضحنا كيفية انتشاره عن هذا الطريق.

الحث على الزواج

الجنس عامل هام في حياة الإنسان، فهو سر بقائه وتكاثره على الأرض، فكما أن الحرمان من السلامة، يعرضه للخطر، والحرمان من الطعام يؤدي به إلى الهزال فالموت، فإن الحرمان من الجنس يؤدي به إلى الكثير من الانحرافات الخلقية والعقلية والنفسية. وقد تناولت المذاهب السماوية والأرضية هذا الموضوع، باتجاهات مختلفة ومتناقضة^(١).

فبعضها أغرق في الروحانية، وأغمض عينيه عن غريزة الجنس في الإنسان وتجاهل وجودها، وحبسها خلف أسوار عالية، وكتبها بقيود مطلقة، واعتبرها أمراً حيوانياً يجب التتره عنه، كالبودية.

وبعضها أطلق لها العنان، دونما ضوابط أو حدود، وغرق بالمادية والشهوانية، واعتبر الجنس كل شيء في الحياة، وأنه يجب أن يكون مشاعاً لمن يشاء، متى شاء وكيف شاء، فلا يعرف الإنسان في ظلها بيتاً يلجأ إليه، ولا أسرة يحن إليها، ولا حرمة يدافع عنها، كالشيوعية.

(١) الطب والوقائي في الإسلام، د. أحمد الفنجري.

أما الإسلام، فقد جاء وسطاً بين ذلكن فهو ينظر للجنس بواقعية ومثالية في آن واحد، وينظر للإنسان كبشر لا كملاك. فاعترف له بغريزة الجنس وأصغى لمتطلباتها، وأشبعها له وفق نظام معين، دون كبت مردول، أو انطلاق مجنون، ولم يضطره لمصادمة الفطرة، ولا التناقض مع نفسه، وسما به أن يهبط إلى مرتبة الحيوان، فأمره بالزواج، ورغبه فيه، ويسره له، واعتبره مكماً لدينه، وسمح له بالطلاق حين يندم الوفاق الروحي وأباح له التعدد إذا اقتضت الظروف.

وبعد ذلك وقف موقفاً حاسماً مع المنحرفين، الذين يريدون العدوان والصيد في حمى غيرهم، أو التحلل من قيود الأسرة والمجتمع، وأوقع عليهم أشد العقاب على جريمة الزنا والانحراف، وهو في معالجته لمشكلات الجنس، لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا طرقها، ووضع لها تنظيمًا ثابتاً ودقيقاً، فاهتم بالتربية والثقافة الجنسية، ونظم الزواج والطلاق، والتلاقي بين الجنسين، وبين أضرار الانحرافات الجنسية، كالزنا واللواط والعادة السرية، ووضع تنظيمًا للصحة الجنسية كالطهارة والغسل بعد الجماع والمحيض، وعدم المجامعة أثناء الحيض، واهتم بالأوضاع والعلاقات الجنسية والوضع الصحي لها. فعل كل ذلك لتهيئة حياة زوجية سليمة، ولبناء بيت إسلامي متكامل، وأسرة إسلامية نظيفة، لأن الأسرة السعيدة

المستقرة، هي أساس المجتمع المتكامل، فاستقراره من استقرارها، وقوته من منعتها، وأطفالها اليوم، رجاله وقادته في الغد.

والإسلام يشجع على الزواج ويعتبره ضرورياً للحياة الطبيعية، ولكمال الدين، ويأمر به. قال صلى الله عليه وسلم "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج"^(١) ويعتبر الساعي للزواج كالمجاهد في سبيل الله. وحق على الله والناس أن يعينوه "ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف"^(٢).

والإسلام يعتبر الزواج بداية المرحلة الفعالة والمنتجة في حياة كل إنسان، ويعتبره علماء الاجتماع ضرورة لبناء المجتمع السليم المتعاون على الخير والمودة، والخلق الكريم، ويعتبره علماء الاقتصاد ضرورة للاستقرار في العمل، والإنتاج المادي والفكري، ويعتبره علماء الطب الخطوة الأساسية نحو حياة جنسية سليمة، خالية من الأمراض النفسية والتناسلية، ولإنجاب نسل صحي سليم.

هذا بعض من كل، في هذا المجال، إذ في ظل الإسلام تختفي الأمراض، عوضاً عن الأعراض. نعم إنه يعالجها علاجاً

(١) صحيح البخاري.

(٢) رواه أحمد والنسائي والترمذي.

جذرياً، ويقي الإنسان شرورها قبل أن ترى النور، دون حاجة إلى عيادات ومختبرات** ولا إلى أخصائيين وآلات، إنه ينظر إلى الإنسان نظرة شمولية، فيصح نظرة الفرد والمجتمع إلى الجنس، بتقديم الموقف العدل الوسط، بين جنون الشهوة، وبين الكبت والحرمان، ويسد كافة النوافذ والذرائع المؤدية إلى الشذوذ، ويقوم الرقيب الداخلي في كل نفس، هذا الرقيب الذي يحرسها أكثر من قوى الأمن، ثم يضرب بيد من حديد على يد كل من تسول له نفسه العبث بحمي غيره، ثم يكفيه بعد ذلك، كلمة في كتابه العزيز، ليرد الأمة إلى الطريق المستقيم.

نعم لقد قرر ابتداءً أن بين جوانب الإنسان غريزة جنسية، خلقت لتعيش، ولكي تعيش لا بد لها من غذاء، وإلا فجوعتها عارمة، وغذاؤها الفطري هو الجنس الآخر، لذا نظر للمرأة على أنها شقيقة الرجال، وصانعة الأجيال، ونصف المجتمع، لا دمية بيد الرجل يتسلى بها كيف شاء، فاعتبرها نصفاً حقيقياً لمجتمع فاضل، وأناط بها دوراً سامياً، لا يستطيعه غيرها، وأوجب تكريمها بنتاً وأختاً وزوجة وأماً وعضواً فاعلاً في المجتمع. وهو في سبيل ذلك

* في الولايات المتحدة الأمريكية (٣٦٠٠) مركزاً طبياً خاصاً لعلاج المصابين بالأمراض الجنسية.

يقرر للغريزة الجنسية ضوابط أخلاقية، في ضوء تقديره لطبيعة الكائن البشري واحتياجاته، لذا جاء تنظيمه للحياة الإنسانية، دقيقاً يحفظ عليها إنسانيتها، ويقيها غوائل الشذوذ والانحراف، والتصادم والكبت والحرمان ولتحقيق ذلك عمد إلى إقامة الرقيب الذاتي في أعماق النفس، لتعاف الخباثت، وتستكثر المكارم، ويستنهض فيها نوازع الخير، فتكتسب مناعة ضد ما يعترضها من نوازع الشر، ودوافع الهوى.

ولما كان الزنا والشذوذ (اللواط) طرقاً منحرفة لتصريف الطاقة الجنسية، ولما لها من آثار سلبية، من اختلاط للأنساب، وانهيار للأسر والمجتمعات، وانتشار للأمراض، وطغيان للردائل، واندثار للفضائل، فإنها بحق عدوان على الفطرة البشرية، وعدوان على الأسرة في التآلف والمودة والطمأنينة والاستقرار وتخريب ظاهر للمجتمع، الذي يقوم على الفرد أولاً والأسرة ثانياً.

لذا رأينا الإسلام، يغلظ العقوبة للشاذين، ليستأصل شأفة الشذوذ، وغريزة الإجرام من نفس صاحبها، فيريح المجتمع من شره وأذاه، كما حرم كذلك كل طريق يؤدي إليه، لأن من حام حول الحمى أو شك أن يقع فيه، وبذا حرم الزنا ومقدماته ودواعيه، من تبرج جاهلي، وخلوة آثمة، واختلاط عابث، وصور عارية، وأدب مكشوف، وغناء فاحش، وكل ما من شأنه أن يستثير الغريزة

الهاجعة، ويفتح منافذ الفتنة على الرجل والمرأة، أو يغري بالفاحشة أو يقرب منها أو ييسر سبيلها.

وهو بالمقابل، يسعى جاداً إلى إشاعة الجو الاجتماعي النظيف، بالدعوة إلى الزواج، والنهي عن التبتل والكبت، والأمر به عند الاقتدار، ولم يترك فرصة إلا وحض على تسهيله وتيسيره، دون عراقيل أو قيود، لأنه الحل العملي، والطريق الفطري السليم، لإفراغ الشحنة الجنسية، وهو لاعتبارات إنسانية هامة، فردية واجتماعية، أباح التعدد، شريطة العدل، فقد تكون النساء أكثر عدداً من الرجال، فهنا تقتضي مصلحة المجتمع، ومصلحة النساء أنفسهن أن يكن ضرائر، لا أن يعشن العمر كله عوانس، محرومات من الحياة الزوجية وما فيها من سكون ومودة وإحسان.

حقائق وأرقام

- لم يحظ مرض في السابق باهتمام العالم أجمع، وعلى كاهه المستويات الرسمية والشعبية والمحافل العلمية، كالذي حظي به مرض الايدز .
- تؤكد الحقائق الملموسة أنه لا علاج لهذا المرض، وأن العلماء حتى الآن لم يكن بمقدورهم تطوير مصل واق منه، رغم كل الأبحاث والإعلانات التي تظهر بين الفينة والأخرى في وسائل الإعلام المختلفة .
- الإصابات بهذا المرض بازدياد مستمر ومذهل، رغم الجهود الجبارة التي بذلت وتبذل على المستوى العالمي من قبل منظمة الصحة العالمية، وعلى المستوى الإقليمي من قبل الدول المختلفة.
- فعدد المصابين في الدقيقة الواحدة بفيروس الإيدز أحد عشر شخصاً، وهذا يعني أن عدد المصابين الجدد يزداد يومياً (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف شخص.
- وعليه يصل عدد المصابين الجدد بالفيروس كل عام إلى ستة ملايين!!

- خمسون في المائة ٥٠% من المصابين تتراوح أعمارهم بين (١٥-٢٤) عاماً.
- عدد الإصابات اليومية في نيويورك وحدها ثلاث وتسعون (٩٣) إصابة.
- خمسة عشر مليون طفل يتيم بسبب الإيدز حتى الآن.
- خمسة آلاف وخمسمائة إنسان (٥٥٠٠) يموتون كل يوم في الصحراء الأفريقية بسبب الإيدز.
- ثلاثة وأربعون (٤٣) مليوناً عدد الإصابات الكلي المعلن عنه رسمياً، غير أن بعض العلماء يشككون في صحة هذا الرقم ويعتقدون أنه مع نهاية عام ٢٠٠٠م سيكون عدد الإصابات مائة مليون على الأقل.
- خمسمائة مندوب من العالم شاركوا في المؤتمر الدولي التاسع للإيدز الذي عقد في وارسو في بولندا في عام ١٩٩٩م برعاية الأمم المتحدة. وقد أذهلهم عدد الإصابات المتزايد بفيروس الإيدز خاصة في أوروبا الوسطى والشرقية.
- ستة أيام متتالية هي مدة انعقاد المؤتمر الدولي، دارت فيها حوارات، وتليت فيها حقائق، ونوقشت فيها أبحاث، شارك فيها إلى جانب الخبراء والمختصين، بعض المصابين بهذا الفيروس.

- مع أن القارة الأفريقية لازالت في المقدمة من حيث عدد الإصابات، إلا أن الأعداد تتزايد بسرعة في روسيا وجنوب شرق آسيا بين صفوف الشباب، ليس فقط في المناطق السياحية، ولكن حيث وجد البغاء والشذوذ والفقر والجهل.
- التثقيف والتوعية بكل الوسائل، هو السلاح الرئيسي والوحيد لمنظمة الصحة العالمية في مكافحتها للإيدز على مستوى العالم أجمع.
- أنا على يقين أن العلماء – عاجلاً أم آجلاً – سيكتشفون علاجاً قاتلاً لفيروس الإيدز مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "الكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل" (رواه مسلم). لكن اكتشاف العلاج وحده لن يوقف المرض أو يحد من انتشاره، بدليل وجود أمراض جنسية كثيرة، علاجاتها متوفرة وبكثرة، إلا أنها بازدياد مستمر خاصة في صفوف الشباب.
- العلاج الحقيقي والجذري الذي يحد من انتشار الإيدز والأمراض المنقولة جنسياً، ويعمل على مكافحتها، يكمن في حسن تربية الأجيال، وتنشئتهم حسب التعاليم السماوية، التي تحرم كل الوسائل المؤدية لانتشار هذه الأمراض، المتمثلة بالزنا والشذوذ والمخدرات.

● قال تبارك وتعالى: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً" (الإسراء ٣٢).

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن. ما ظهرت الفاحشة (الزنا) في قوم، يعمل بها فيهم علانية، إلا ظهر فيهم الطاعون (الوباء)، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم..." (رواه الحاكم).

● وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان: "إذا استحلّت أمّتي خمساً فعليهم الدمار، إذا ظهر التلاعن، وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القينات، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء" (رواه البيهقي).

● وبعد: أليس اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، الذي أصبح مباحاً بحكم القانون في دول غربية كثيرة، هو الشذوذ بعينه؟ ألم يثمر ذلك للبشرية أمراضاً لم تكن في السابق؟ أليس الإيدز مرضاً جديداً لم يتجاوز عمره العشرين خريفاً؟؟

الفهرس

٤	مقدمة الطبعة الثانية -----
٧	تقديم -----
١٠	لمحة تاريخية -----
١٥	فيروس الإيدز -----
١٧	العدوى -----
٢٢	الأطوار والأعراض -----
٢٦	الشدوذ والضلال مجلبة للعقوبة الإلهية -----
٤٠	الوقاية خير من العلاج -----
٤١	العلاجات الآتية -----
٥٠	العلاجات الجذرية -----
٦٧	حقائق وأرقام -----
٧١	الفهرس -----